نير حسون، "هآرتس"، "صورة الوضع الإنساني في غزة", 15/10/2025

مقدّمة

إذًا مرحبًا من جديد، وأهلًا وسهلًا بكنّ وبكم في "عيون على غزة". اليوم يُعقد لقاؤنا الأول منذ دخول وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ، منذ أن عاد الإسرائيليون والفلسطينيون من الأسر، واختلطت احتفالات الفرح بالألم على أرواح قُطِعت دون مبرر. وقف إطلاق النار الهشّ، والأمل بهدوء مستمر، وأكثر من ذلك، بإمكانية بناء مستقبل مستدام لنا جميعًا هنا بين الأردن والبحر، ترافقه مخاوف وقلق. من الواضح لنا أنه في هذا الحاضر غير المستقر علينا أن نبقي أعيننا على غزة، أن نحمل شهادة على الخراب والدمار الذي أحدثناه هناك. ليس فقط لأن كل هذا لم يصبح جزءًا من الماضي بعد، بل لأنه من دون الاعتراف بالفاجعة لا يمكننا التوجّه نحو مستقبل آخر.

لم نكن لنفكر في ضيف أنسب للّقاء الأول بعد وقف إطلاق النار من نير حسون، صحفي هآرتس، الحاصل على جائزة سوكولوف لعام 2025، والذي يغطي حرب الإبادة في غزة، والدمار والجوع والموت الذي زرعته إسرائيل هناك منذ تموز 24. نير هو من الأصوات القليلة في الصحافة الإسرائيلية المطبوعة التي تقدّم للجمهور الإسرائيلي صورة دقيقة عن حجم وطبيعة العنف غير المنضبط الذي فعّلته إسرائيل في غزة.

في بداية أكتوبر، قبل أسبوعين فقط، نشر نير في "هآرتس" مقالًا وصف فيه مجزرة السابع من أكتوبر والرد الإسرائيلي عليها كأكبر كارثتين أصابتا المجتمع الإسرائيلي. في المقال يوضح بالتفصيل الصدمة التي أحدثها كل منهما، من فهم عميق بأنه لا يمكن تجاوز إحداهما من دون الاعتراف بالأخرى، وأن الاعتراف بالمعاناة الفلسطينية وإعادة إعمار غزة هما شرط لإعادة بناء إسرائيل. لذلك، الآن بالذات، مع بداية وقف إطلاق نار غير مستقر ومستقبل غير واضح، يبدو مناسبًا بشكل خاص أن نسمع من نير صورة الوضع الإنساني في غزة—ليس فقط لمعرفة ما يحدث هناك الآن، بل لفهم حجم الدمار، ومدى الفقدان، ومسؤوليتنا تجاه من بقوا تحته. هذا النظر، المستعد للرؤية، والاستماع، والتوثيق، هو أيضًا النظر الذي يمكن أن ينبت منه تفكير آخر حول مستقبل مشترك. إنه يسمح لنا أن نتحدى السردية القائلة بالعداوة الأبدية، فكرة أننا محكومون بحياة من العنف والعداء، وأن نسأل كيف يمكن رغم كل شيء تخيّل وصنع واقع مختلف هنا، متكافئ وقابل للحياة لنا جميعًا. شكرًا جزيلًا لك نير على موافقتك استضافة "عيون على غزة" اليوم. سنستمع إليك لمدة ثماني دقائق، وأنتنّ/وَ مدعوّات ومدعوّون كالعادة لكتابة الأسئلة في الدردشة.

المحاضرة

مرحبًا، شكرًا ليئور، وشكرًا على الدعوة. هذا مشروع مذهل. لم أكن أعرف عنه، سمعت به، لكن لم أعرف التفاصيل. وكل الاحترام لكنّ/لكم على إنجاز ذلك.

حسنًا، ذكرتِ/ذكرتَ عدم الاستقرار. أعتقد أن الوصف دقيق جدًا. لا يمكن ألا نشعر ببعض الارتياح في ليلة العيد مع عودة المخطوفين ومع الهدوء. وكمن يتابع ما يحدث في غزة، فقد بدا الأمر حقًا—ولو للحظة—مختلفًا.

تحدثتُ مع موظفة من الأمم المتحدة كانت تقف عند حاجز كرم سالم قبل يوم واحد، يوم السبت. وقالت لي: "أنا أرى شاحنة كيوي، وأرى شاحنة موز، لن تصدق—مرت هنا شاحنة موز الآن. وغاز طبخ، دخل غاز طبخ لأول مرة منذ آذار". وبالطبع، عودة المخطوفين—كان هناك لحظة يمكن فيها التنفس.

لكنها أيضًا فترة مخيفة جدًا، وغير مستقرة. الشعور هو أن هذا الاتفاق الذي فصّله ترامب، فُصّل بخياطة خشنة جدًا. سمعنا الخطاب. نفهم أنه لا يوجد هنا نزول للتفاصيل، لا يوجد تعامل مع الأسئلة الصعبة، وأنه ضغط على الطرفين وأجبرهما على التوقيع، والآن هرب إلى واشنطن ولا يبدو أن الأمر يهمه بعد الآن. وهذا مقلق جدًا، لأنه ليس واضحًا ما الذي سيحدث.

كتبتُ هذا الصباح في تويتر أننا، كما يبدو، "أكلنا السمك"، أي مددنا حربًا دامية لعامين وصِرنا منبوذين في العالم، وتلقّينا ضربات، قُتل لنا 2000 شخص بينهم أكثر من 40 مخطوفًا، وقتلنا 70,000، وطُردنا من المدينة لأن حماس عادت لتحكم القطاع. وهذه هي مشاعري اليوم—إسرائيل لم تحقق أهدافها. حماس عادت لحكم القطاع. نرى في الأيام الأخيرة مقاطع لعمليات إعدام، ولعناصر أمن حماس يعودون. وليس واضحًا كيف سيعمل تمامًا هذا المرحلة التي يُفترض فيها دخول قوات تركية أو قوات مصرية. ليس واضحًا كيف سيدخلون، وإن عارضت حماس—هل سيحاربون حماس فعلًا؟ وكيف ستسمح لهم إسرائيل بالعمل؟ شيء ضبابي ومقلق جدًا.

لا أعتقد أننا في خطر فوري من تجدد القتال. يبدو لي أنه من هذه الناحية ترامب ومؤتمر شرم الشيخ كبّلا إسرائيل. لكن ذلك لا يعني أن الأمر لا يمكن أن يحدث لاحقًا. ولا يعني أن إسرائيل لا يمكنها اتخاذ خطوات كالتي اتخذتها العام الماضي، في بداية هذا العام حقيقةً، من حصار وتجويع وكل تلك الممارسات. رأينا قليلًا من ذلك أمس حين أغلقت إسرائيل حاجز رفح بسبب قضية الجثث.

بخصوص قصة الجثث: على عكس السردية السائدة في إسرائيل بأن حماس تقوم بمناورات وتخفي الجثث، أعتقد أن هناك ضائقة حقيقية للعثور على الناس. افتحوا صور الأقمار الاصطناعية وانظروا إلى ما يحدث في غزة. أفترض أنه إن كنتم متابعين، تعرفون. ليس مكانًا سهلًا العثور فيه على شخص دُفن قبل عامين. الأشخاص الذين دفنوهم اختفوا، وجغرافية المكان تغيّرت. هذا فعلًا تحدٍّ. هناك مشكلة حقيقية. وهذا مقلق جدًا، لأنه مع مرور الوقت، أعتقد أننا سنبقى في النهاية مع مفقودين لن نعرف ماذا جرى لهم، وسيكون ذلك فظيعًا. سيكون فظيعًا لعائلاتهم طبعًا. أنا على تواصل مع عدد من العائلات، وهذا ألم لا يُحتمل—هذا اللايقين. لكنه سيكون فظيعًا أيضًا من ناحية القدرة على الحفاظ على الاستقرار في غزة.

الآن سأقول شيئًا عن الوضع الحالي. أنا دائمًا أقول إننا أنزلنا على غزة أربع ضربات: القتل—ونحن نعرف الأرقام، 70,000 وربما أكثر بكثير إن حسبنا المفقودين والوفيات الزائدة. الدمار—ونرى الأرقام: 78% دمار، ومدن سُوّيت بالأرض. الاقتلاع—90% من السكان اقتلعوا من بيوتهم، مرارًا، وفقدوا كل ممتلكاتهم. والجوع.

ومن بين الضربات الأربع، الجوع هو في أفضل وضع نسبيًا. فمنذ تموز سمحت إسرائيل بإدخال المزيد من الطعام. رأينا الأسعار تهبط في نهاية أغسطس، وبدأت معدلات الجوع والوفاة من الجوع بالتراجع. بعد ثلاثة أسابيع من الآن، ما زال الناس سيموتون من الجوع. الأسبوع الماضي فقط نشرتُ قصة طفلة ماتت من الجوع. الناس ما زالوا سيموتون، لأن سوء التغذية الحادّ ليس شيئًا يُشفى منه بسرعة. وليس الأمر أنك تصبّ الطعام على الناس وتنتهي المشكلة. لكنني أظن أنه إن لم يكن هناك حصار جديد، فهذه المشكلة قابلة للحل نسبيًا.

أما المشاكل الثلاث الأخرى—القتل، الدمار، الاقتلاع—فسترافق غزة وسكان غزة لسنوات، لعقود. هناك بعض الخطط التي بدأ الحديث عنها لإعادة الإعمار. ولإعطاء فكرة عن الحجم: في بداية العام الماضي كان الحديث عن إعادة إعمار ستستغرق نحو عشرين عامًا وتكلف 53 مليار دولار—أي ثلث ميزانية دولة إسرائيل. وهذا كان قبل عملية "مركبات جدعون أ" و"مركبات جدعون ب"، وقبل التدمير الكامل لرفح، وقبل تدمير الأبراج في غزة. أي أن التكلفة ارتفعت منذ ذلك ربما بعشرات النسب المئوية إن لم يكن أكثر. وهناك أيضًا الخطة المصرية التي عُرضت بداية العام وتحدثت عن نفس الأرقام.

وفيما يتعلق بالمشاكل: سأشير إلى مشكلتين هائلتين على كل من يريد إعادة إعمار غزة التعامل معهما:

المشكلة الأولى: ماذا نفعل مع ركام البناء؟
تقرير صدر الأسبوع الماضي يتحدث عن 61 مليون طن من ركام البناء.
ولإعطاء مقياس: حسبتُ هذا الصباح—هذا يعادل 167 كغم من الركام لكل متر مربع في القطاع، من حاجز إيرز حتى معبر رفح، من البحر حتى السياج. هذا الركام ملوث ببقايا بشر، فيه مواد كيميائية، معادن ثقيلة، أسبست، والكثير من الذخائر غير المنفجرة. إزالة هذا، التعامل معه، إعادة تدويره—تحدٍّ هندسي هائل.

المشكلة الثانية: أين سيسكن الناس في هذه الأثناء؟
فمن الواضح أن فترة إعادة بناء غزة ستستمر سنوات.

هناك عدة أفكار: المصريون اقترحوا بناء سبع مناطق جديدة—سبع "مدن ملجأ" داخل القطاع، لإسكان مليون إلى مليون ونصف شخص. وهناك اقتراح آخر مهم جدًا من "معهد العربة" ومنظمة "دامور" الفلسطينية، التي تدير أصلًا مخيمًا للنازحين، حول كيفية تطوير مخيمات نازحين تعمل خارج الشبكة—لأن شبكة الكهرباء والماء والصرف الصحي في غزة لن تعود للعمل في السنوات القريبة، ولذلك هذه المخيمات يجب أن تعيل نفسها: توليد الكهرباء، توفير المياه، مطبخ مجتمعي، مدرسة—مثل كيبوتسات صغيرة، أو ليست صغيرة—كبيرة، عشرات الآلاف في كل واحدة.

هذان هما التحديان الأكبران. وأنا أتمنى اليوم الذي تصبح فيه هذه الأمور جدية—حين تكون هناك خطة واضحة، وحين نعرف من هو الطرف السياسي، ومن هو الطرف الأمني، ومن هو الطرف الشرطي في غزة. وعندها يمكن الحديث عن "اليوم الذي يلي". كلمة أخيرة: في وقف إطلاق النار السابق، لا أعرف كم منكم تابع، لكن كان هناك ترند تيك توك رائع في غزة، لأناس يعودون إلى بيوتهم وينظفونها، يصورون قبل وبعد، يزيلون الركام، يمسحون، يضعون كرسيًا وطاولة ويسكبون كأس شاي. كان ذلك يوسع القلب. قضيت ساعات أشاهد تلك المقاطع. ومع بدء وقف إطلاق النار بدأت أبحث عنها من جديد. ظهرت بعض المقاطع، لكن قليلة جدًا. ودائمًا أسأل نفسي: لماذا لا يوجد أكثر؟ هل لأن الدمار كبير إلى هذا الحد؟ أم لأن اليأس كبير إلى هذا الحد؟
هاتان هما الإمكانيتان لسبب عدم عودة تلك المقاطع. ربما تعود.